

الفصل الرابع

تفسير آيات العقائدية عن أمور الإلهيات و الرسائل و السمعيات

في كتاب تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید

سأبين في هذا الباب عدة أمثلة طرحها البيجوري في كتابه تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید،

على النحو التالي:

أ. تفسير حول آيات الإلهيات

هناك عدة قضايا تتعلق بأمور الإلهيات التي يختلف عنها المسلمون فيما بينهم. و منها ما

يتعلق بتفسير الآيات المتشابهات. و من آيات المتشابهات المتعلقة بهذه المسألة هي التي توهم بإثبات

الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح لله تعالى.

وقبل أن يبين هذه الأمور أكد البيجوري على مبدأ فهمه بقوله: إذا ورد في القرآن أو السنة

ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة

والمشبهة على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهرة^١.

^١ إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید (جاكرتا: دار الكتب الإسلامية، ٢٠١٤)، ١١٩.

ثم ضرب البيجوري لعدة أمثلة لكيفية فهم الآيات التي توهم الجهة لله تعالى: مثل قوله تعالى

في سورة النحل الآية: ٥٠ (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) قال البيجوري بأن السلف^٢ يقولون: فوقية لا

نعلمها والخلف^٣ يقولون: المراد بالفوقية العالي في العظمة؛ فالمعنى: يخافون أي الملائكة ربهم من أجل

تعالیه في العظمة أي ارتفاعه فيها.^٤

وعن قوله تعالى في سورة طه الآية: ٥ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كتب البيجوري بأن

السلف يقولون: استواء لا نعلمه والخلف يقولون: المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق # من غير سيف ودم مہراق.^٥

و زاد البيجوري عن قصة رجل سأل الإمام مالكا عن هذه الآية فأطرق رأسه مليا ثم قال:

^٢ وهم أهل القرون الثلاثة الأولى أي الغالب عليهم فإنهم يؤولونها تأويلا إجماليا بالإيمان بما واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته بلا تعيين. أنظر كتاب عبد الله الهرري، الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم (بيروت: دار المشارع للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ١٧٢.

^٣ علماء الخلف هم رجال الدين المسلمون الذين عاشوا بعد القرن الثالث الهجري. انظر مجلة فضلان فحامسية، "سلف وخلف العلماء"، مجلة الفوائد، المجلد ١١، العدد ١١. ٢، (سبتمبر ٢٠٢١)، ٤٢.

^٤ إبراهيم البيجوري، تحفة المرید على جوهرة التوحيد، ١١٩.

^٥ إبراهيم البيجوري، تحفة المرید على جوهرة التوحيد، ١١٩.

الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا

ضالاً، فأمر به فأخرج.^٦

و حكي البيجوري عن سؤال الزمخشري للغزالي عن هذه الآية، فأجابه بقوله : إذا استحال

أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية، فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف، وهو مقدس

عن ذلك.^٧

وأما الآيات التي توهم الجسمية مثل قوله تعالى في سورة الفجر: ٢٢ (وَجَاءَ رُتُكُ) و مثل

قول النبي صلى الله عليه و سلم في حديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى

ثلث الليل الأخير، ويقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفري فأغفر له)^٨.

كتب البيجوري بأن السلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمهما، الخلف يقولون: المراد : وجاء عذاب

ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله الخ.^٩

^٦ إبراهيم البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ١١٩.

^٧ إبراهيم البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ١١٩.

^٨ مسلم بن الحجاج القشيري لنيسابوري، صاحب مسلم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٠)، ٥٢١.

^٩ إبراهيم البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد ١٢٠.

وأما التي توهم الصورة: ما رواه أحمد والشيخان: أن رجلاً ضرب عبده، فنهاه النبي وقال:

(إن الله تعالى: خلق آدم على صورته.^{١٠} فالسلف يقولون: صورة لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد

بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة، فهو على صفته في الجملة وإن كانت صفته تعالى قديمة

وصفة الإنسان حادثة.^{١١}

وأما الآيات التي توهم الجوارح لله مثل قوله تعالى في سورة الرحمن: ٢٧ (وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ)

و في سورة الفتح : ١٠ (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) و مثل قول النبي صلى الله عليه و سلم (إن قلوب بني

آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع الرحمن).^{١٢} يقول البيجوري إن السلف يقولون : لله

وجه ويد وأصابع لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد من الوجه: الذات، وباليد: القدرة؛ والمراد من قوله

: (بين أصبعين من أصابع الرحمن) بين صفتين من صفاته، وهاتان الصفتان: القدرة والإرادة.^{١٣}

^{١٠} أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب *أدب المفرد* (مصر: دار الكتب الإسلامية، ٢٠١٤)، ١٢٠.

^{١١} إبراهيم البيجوري، *تحفة المرید على جوهرة التوحيد*، ١٢٠.

^{١٢} مسلم بن الحجاج القشيري ليسابوري، *صحيح مسلم* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٠)،

٥٢١.

^{١٣} إبراهيم البيجوري، *تحفة المرید على جوهرة التوحيد*، ١٢١.

و أما عن رؤية الله تعالى فكتب البيجوري قبل أن يأتي تفسير الآيات القرآنية بأن من الجائز عقلا عليه تعالى أن ينظر, فالرؤية جائزة عقلا دنيا و أخرى, لأن الباري سبحانه و تعالى موجود, و كل موجود يصح أن يرى, فالباري عز و جل يصح أن يرى, لكن لم تقع في الدنيا لغير نبينا صلى الله عليه و سلم, و واجبة شرعا في الآخرة كما أطلق عليه أهل السنة للكتاب و السنة و الإجماع.^{١٤}

ثم ضرب البيجوري مثلا منها قوله تعالى في سورة القيامة: ٢٢-٢٣ (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ*

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ومعنى ناضرة حسنة، وهو صفة للوجوه، وهو مسوغ للابتداء به، وناظرة خبر وحمل الجبائي النظر في الآية على الانتظار، وجعل إلى اسمًا بمعنى النعمة، والمعنى عند منتظرة نعمة ربها. ومنها قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) فإن الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر لوجهه الكريم، كما قاله جمهور المفسرين. ومنها قول تعالى: (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ). وأما السنة فأحاديث كحديث: إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر « والتشبيه للرؤية في عدم الشك والخفاء، لا للمرئي كما قد يتوهم، والتعبير بالسين في الحديث لأن القيامة قد قربت؛ وأول المعتزلة الحديث بأن المعنى:

^{١٤} إبراهيم البيجوري, تحفة المرید علی جوهرة التوحيد, ١٤٧.

سترون رحمة ربكم. وأما الإجماع فهو أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في

الآخرة.^{١٥}

ثم روي البيجوري أقوالاً من الإمام مالك و الإمام الشافعي و ابن العربي رضي الله تعالى

عنهم: قال الإمام مالك لما حجب أعداؤه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه؛ ولو لم ير المؤمنون ربهم

يوم القيامة لم يعير الكافرون بالحجاب. قال تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : لما حجب قومًا بالسخط، دل على أن قوما يرون

بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا. وهذا

من كلام المدللين نفعنا الله بهم، وإلا فالله يستحق العبادة لذاته.

وقال ابن العربي: إن رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة في الدنيا، فما راء كمن سمعا.

والحاصل أن هنا مقامين كما يستفاد من كلام السعد في شرح المقاصد: أحدهما في جواز الرؤية،

وثانيهما في وقوعها والمتبادر من كلام المصنف المقام الأول، كما هو قضية مرجع الضمير.^{١٦}

^{١٥} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ١٤٧.

^{١٦} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ١٤٧.

قوله: (بالأبصار) ظاهره أن الرؤية بالحدق فقط، وهو أحد أقوال ثلاثة؛ ثانيها: أنها بجميع

الوجوه، لظاهر قوله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) ثالثها: أنها بكل جزء من أجزاء البدن،

كما نقل عن أبي يزيد البسطامي.

قوله: (لكن بلا كيف) لما كان قد يتوهم من قوله: ومنه أن ينظر بالأبصار، أنه تعال يرى

بكيف كما في رؤية بعضنا بعضا، استدرك عليه بقوله: لكن بلا كيف أي بلا تكيف للمرئي بكيفية

من كفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك. وغرض المصنف بذلك: الجواب عن شبهة

المعتزلة العقلية التي تمسكوا بها في قولهم بإحالة الرؤية. وحاصلها أنه تعال لو كان مرئيا لكان مقابلاً

للرئي بالضرورة، فيكون في جهة وحيز. وحاصل الجواب: أن قولكم لكان مقابلاً للرئي بالضرورة

ممنوع فلزوم الجهة والحيز ممنوع، الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئي، ولا كونه

في جهة وحيز و غير ذلك؛ ودعوى الضرورة فيما نازع فيه الجم الغفير من العقلاء غير مسموعة، غاية

الأمر: أن هذه الأمور لازمة عادة لا عقلاً.^{١٧}

ب. تفسير حول آيات الرسالات

^{١٧} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ١٤٨.

أحد قضية مثيرة للجدل تتعلق بهذا الموضوع هي قضية عن عصمة الأنبياء و الرسل والملائكة

عليهم السلام. و بينما توجد عدة آيات من القرآن الكريم توحى بأنهم ارتكبوا ذنوبا أو معاصيا.

وأكد البيجوري مرة أخرى على مبادئه في فهم الآيات العقائدية المتعلقة بهذه المسألة. كتب

البيجوري بأن عصمة الأنبياء قد تقدمت في قوله: وواجب في حقهم الأمانة، إذ الأمانة هي العصمة؛

وقد يجاب بأنه إنما تعرض لها ليجمع الملائكة مع الأنبياء في حكمها والاتصاف بها.^{١٨}

والعصمة لغة مطلق الحفظ، واصطلاحًا: حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه.

ولا يجوز لنا سؤال العصمة بهذا المعنى، كأن يقال: اللهم إنا نسألك العصمة، فإن أريد المعنى اللغوي

جاز لنا سؤالها.^{١٩}

ثم ضرب البيجوري مثالا عن عصمة جميع الملائكة، في تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة:

٣٠: (أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ليس غيبية ولا اعتراضًا على الله، بل مجرد استفهام؛

وما في قصة هاروت وماروت مما يذكره المؤرخون لم يصح فيه شيء من الأخبار، بل هو من افتراء

^{١٨} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ١٧٢.

^{١٩} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ١٧٢.

اليهود وكذبهم، وتبعهم المؤرخون في ذكر ذلك. وقيل: كانا رجلين صالحين، وسميا ملكين تشبيها لهما

بالملكين.^{٢٠}

و أما الأمثلة عن عصمة الأنبياء أخذت من كتاب الآخر لشرح جوهرة التوحيد و هو كتاب

منحة الحميد شرح جوهرة التوحيد لأبي أمين، قائم الدين واقمين. لأن البيجوري لا يأت بمثل تفسير

الآية عن عصمة الأنبياء و الرسل.

و كتب أبو أمين، قائم الدين واقمين في كتابه منحة الحميد شرح جوهرة التوحيد قوله تعالى

في سورة طه: ١٢١ (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) إن آدم في الحقيقة غير عاص بأكل الشجرة المنهي

عنها، لأنه ناس لنهي الله، كما قال تعالى (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)

والناسي غير عاص. وسمي عاصيا لوقوع صورة المخالفة منه وهو أكل الشجرة المنهي عنها عامدا،

تفخيما لأمره نظرا لشرف رتبته وعظم منزلته، فهي معصية في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.^{٢١}

^{٢٠} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرة التوحيد، ١٧٣.

^{٢١} أبو أمين قائم الدين واقمين، منحة الحميد في شرح جوهرة التوحيد (باسوروان: ت.ت، ٢٠٠٢)،

وأما مؤاخذته بإهباطه إلى الأرض واستغفاره فلزيادة معرفته وتقواه وليزداد أجرا وقربة ودرجة عند الله تعالى، وفي ذلك حكمة أخرى. حاصلها أن آدم خلق للأرض أصلا قبل أن يخلق، لا لعارض، كما قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) إلا أن إنزاله إلى الأرض واقع بحكمته تعالى بعد أكله الشجرة حتى أذن لإبليس لعنه الله دخول الجنة للوسوسة بعد إخراجها منها.^{٢٢}

و معنى آية (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) الآية !

حاش لنبي الله يوسف العليا أن يهيم بالفاحشة بل في هذه القصة صورة مشرقة عن نزاهة هذا النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم عليهم السلام وبرائته وعصمته. فإنه مع تفوقه في الجمال والبهاء حتى افتنتت به نسوة مصر انه في العفة والنزاهة أصلب من الحديد وأقوى من الجبال فان سباق الآية وسياقها يدلان على أن ليس المراد بها على ظاهرها.

فمن السباق قوله لها بكل صلابة (مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ومن السياق قوله تعالى (كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) فالله تعالى

^{٢٢} أبو أمين قائم الدين واقمين, منحة الحميد في شرح جوهرة التوحيد, ١٥٣.

صرف عنه السوء، فكيف وقع في السوء وهو من المخلصين، وقد قال تعالى حكاية عن إبليس

(فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ومن السياق أيضا اعترافها بعصمته (وَلَقَدْ

رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعْصَمَ) إذا فالآية ليست على ظاهرها، وقد بين العلماء مراد الآية بوجوه، منها:

١ - ان المعنى : همت به طلبا وهم بها دفعا، فهمها غير همه.

٢ - ان المعنى : همت به هم، عزم و هم بها هم طباع مع الامتناع، وهذا غير مؤاخذ ما لم يعزم

الإنسان على فعله.

٣- ان الآية من التقديم والتأخير أي لولا ان رأى برهان ربه لهم بها، فأصبح المعنى لو لا عصمة

الله ليوسف لهم بها، فالهم منفي عنه.

في آية (عَبَسَ وَتَوَلَّى) فقد اطبق المفسرون على أنه رسول الله ؟

بالنظر إلى سبب نزولها يعلم أنه كان مشغولا مع رؤسا قريش، وكان يحرص على ايمانهم لأنهم إذا

أسلموا أسلم بإسلامه الناس، وقد جاءه الأعمى في وقت كان مشغولا فيه فترك إجابته لما هو في نظره

أهم وأعظم.

قال ابن حزم : فاشتغل عنه بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته، وهذا غاية في

النظر في الدين والاجتهاد في نصره القرآن في ظاهر الأمر ونهاية التقرب إلى الله.

قال الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله : فعل النبي لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة الله

وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له تعالى.^{٢٣}

إن لم يكن ذلك معصية فلم عاتبه الله عليه ؟

لأنه حبيبه تعالى والحبيب قد يعاتب حبيبه على شيء لا بأس به مبالغة في توقيره .

قال ابن حزم : فعاتبه الله إذ كان الأولى عند الله أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقي

ويترك أولئك المعاندين، يعني أنه لو كشف له حال الرجلين كان الصواب والأولى الإقبال على الأعمى،

والإنسان لا يكلف بعلم ما في علم الله بل بما في علمه ولكن الحبيب قد يعاتب حبيبه على ذلك.

ومن حمل الضمير على غير الرسول علي تنزيها له فقد خالف المفسرين السلف منهم والخلف ولا

دلالة له على ذلك، وهذا اقتحام على أمر خطير، ومن استدل بهذه الآية أنه صلى الله عليه وآله

^{٢٣} أبو أمين قائم الدين واقمين، منحة الحميد في شرح جوهرة التوحيد، ١٦٢ .

وسلم قد اتصف بخصال مذمومة كالعبوس والتولى وموالة الكفار وتقديم كافر لغناه على مؤمن لفقره

فقد وهم وحمل الآية على غير محلها وأساء الأدب مع حبيب الله سيد المرسلين، فكيف يسوغ ذلك

فيمن يختار أن يكون نبيا عبدا على أن يكون نبيا ملكا ويجب أن يجوع يوما ويشبع آخره، وقال تعالى

في حقه (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) حاشا وكلا، سبحانه هذا بهتان عظيم.^{٢٤}

ج. تفسير حول آيات عن أمور السمعيات

كتب البيجوري عن الوزن والميزان في الآخرة ومثل هذا الوزن والميزان أي ومثل أخذ العباد

الصحف في الوجوب السمعي من أفعال العباد والميزان. وهو ميزان واحد على الراجح له قسبة وعمود

وكفتان ك حدة منهما أوسع من طباق السموات والأرض، وجبريل أخذ بعموده ناظر إلى لسانه

ميكائيل أمين عليه، ومحلّه بعد الحساب ؛ وقيل : لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من

عمله.^{٢٥}

^{٢٤} أبو أمين قائم الدين واقمين، منحة الحميد في شرح جوهرة التوحيد، ١٦٣.

^{٢٥} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید على جوهرة التوحيد، ٢٢٧.

ويدل على الوزن قوله تعالى: (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) وعلى الميزان قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) وقوله تعالى: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) وخفة الموزون وثقله على صورته في الدنيا، وقيل على عكس صورته

في الدنيا، فالثقل يصعد إلى أعلى، والخفيف ينزل إلى أسفل، لقوله تعالى: (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)

والجمع فيما ذكر للتعظيم، على المشهور من أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال؛ وقد بلغت

أحاديثه مبلغ التواتر، فيجب الإيمان به وتمسك عن تعيين حقيقته.^{٢٦}

ولا يكون الوزن في حق كل أحد، لأنه لا يكون للأنبياء والملائكة ومن يدخل الجنة بغير

حساب، فإنه فرع عن الحساب، ولا مانع من وزن سيئات الكفار ليجازوا عليها بالعقاب، فقوله

تعالى: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) معناه: لا نقيم لهم يوم القيامة وزناً نافعاً.

فإن قيل: وزن أعمال المؤمنين وجهه ظاهر، إذ لهم من الحسنات ما يقابل السيئات، وأما

الكفار فليس لهم حسنات حتى تقابل بها سيئاتهم. أوجب بأنه يكون منهم صلة الرحم ومواساة الناس

وعتق المماليك ونحوها من الأعمال التي لا تتوقف صحتها على نية، فتجعل هذه الأمور إن صدرت

^{٢٦} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ٢٢٨.

منهم في مقابلة سيئاتهم غير الكفر، أما هو فلا فائدة في وزنه، لأن عذابه دائم؛ وفي كلام القرطبي ما

يصرح بوزنه حيث قال: فتجمع له هذه الأمور، وتوضع في ميزانه يعني الكافر فيرجح الكفر بها.^{٢٧}

(كذا الصراط) كذا خير مقدم، والصراط مبتدأ مؤخر، أي الصراط مثل المذكور من أخذ

العباد الصحف والوزن والميزان في الوجوب السمعي. وهو بالصاد أو السين أو بالزاي المحضة أو

بالإشمام، وقرئ في السبع بما عدا الزاي المحضة.

ومعناه لغة: الطريق الواضح مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتعله، لأنه يبتلع المارة؛ وشرعاً:

جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار. خلافاً للحليمي حيث ذهب إلى

أنهم لا يمرون عليه، ولعله أراد الطائفة التي ترمي في جهنم من الموقف بلا صراط. وشمل ما ذكر النبيين

والصديقين ومن يدخل الجنة بغير حساب، وكلهم ساكتون إلا الأنبياء، فيقولون: اللهم سلم سلم؛

كما في الصحيح.

وفي بعض الروايات: أنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف وهو المشهور. ونازع في ذلك

العز بن عبد السلام والشيخ القرافي وغيرهما كالبدر الزركشي قالوا: وعلى فرض صحة ذلك، فهو

^{٢٧} إبراهيم البيهقوري، تحفة المرید علی جوهرة التوحيد، ٢٢٩.

محمول على غير ظاهره، بأن يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة، وحينئذ فلا ينافي ما ورد من الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه وكون الكلايب فيه؛ زاد القرابي: والصحيح أنه عريض.

وفيه طريقان: يبنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم.

وقال بعضهم: إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره، فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره، فلا يمشي أحد في نور أحد؛ ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين.

وطوله ثلاثة آلاف سنة ألف صعود، وألف هبوط، وألف استواء. وفي كلام الشيخ الأكبر: ما يفيد عدم التعويل على ظاهر هذه الآلاف، مع أن مآله الامتداد للعلو حتى يوصل للجنة، فإنها عالية جدا؛ وأفاد الشعراي أنه لا يوصل لها حقيقة، بل يوصل لمرجها الذي فيه الدرج الموصل لها. قال: يوضع لهم هناك مائدة، قال: ويقوم أحدهم فيتناول مما تدلى هناك من ثمار الجنة. وقد ورد به الكتاب قال تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ) والسنة: قال النبي: ويضرب الصراط بين ظهراي جهنم،

فأكون أنا وأمتي أول من يجوز.

واتفقت الكلمة عليه في الجملة، أي بقطع النظر عن إبقائه على ظاهره كما هو مذهب أهل

السنة، وصرفه عنه كما هو مذهب كثير من المعتزلة، فإنهم ذهبوا إلى أن المراد به: طريق الجنة وطريق

النار؛ وقيل: المراد به الأدلة الواضحة وجبريل في أوله وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم

فيما أفنوه، وعن شباهم فيم أبلوه، وعن علمهم ماذا عملوا به، وفي حافتيه كالليب معلقة مأمورة

تأخذ من أمرت به.^{٢٨}

قوله: (فالعباد مختلف * مرورهم) أي إذا علمت أن الصراط واجب، فاعلم أن العباد متفاوت

مرورهم عليه في سرعة النجاة وعدمها، فليسوا في المرور عليه على حد سواء. وقوله: (فسالم ومنتلف)

أي فمنهم فريق سالم من الوقوع في نار جهنم، ومنهم فريق منتلف بالوقوع فيها، إما على الدوام والتأيد

كالكفار والمنافقين، وإما إلى مدة يريدتها الله تعالى ثم ينجو كعصاة المؤمنين ممن قضى الله عليهم

بالعذاب.

والفريق الأول هم السالمون من السيئات وأهل رجحان الأعمال الصالحة ممن خصهم الله

بسابقة الحسنى، وهؤلاء يجوزون كطرف العين، وبعدهم الذين يجوزون كالبرق الخاطف، وبعدهم الذين

^{٢٨} إبراهيم البيهقوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ٢٣٠.

يجوزون كالريح العاصف، وبعدهم الذين يجوزون كالطير، وبعدهم الذين يجوزون كالجواد السابق، وبعدهم الذين يجوزون سعيًا ومشيا، وبعدهم الذين يجوزون حبوا وتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمة الله تعالى، فمن كان منهم أسرع إعراضًا عما حرم الله كان أسرع مرورًا في ذلك اليوم. والحكمة في مرورهم على الصراط : ظهور النجاة من النار، وأن يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور.^{٢٩}

استنادا إلى وصف البيانات التفسيرية التي تم الكشف عنها؛ من العينات الثلاث لقضايا العقيدة التي نراها في التفسير ، من الواضح أن الشيخ البيجوري مثل العديد من الأشعريين قد استخدم التأويل لشرح معنى آيات المتشابهات. وأما ما يتعلق بالآيات المتعلقة بالرسالات، أكد الشيخ البيجوري على مبدأ تعظيم العصمة الرسل والأنبياء، وإلا فإنه يمكن أن يجرح طبيعة الثقة أو الأمانة الواجبة عليهم. في حين أن الشيخ البيجوري مرتبط بمسألة السمعيات، فقد فسر آيات القرآن المتعلقة بذلك دون استخدام التأويل، وبعبارة أخرى، فهم معناها بظاهر معنى لفظه.

^{٢٩} إبراهيم البيجوري، تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید، ٢٣١.

د. تحليل منهجية تفسير آيات العقائدية في كتاب تحفة المرید علی جوهرۃ التوحید: بین المنهج

و الطريقة و التقنیات

ومن خلال بیانات تفسیر البیجوری السابقة، یتبین للباحثة أن اتجاه تفسیر البیجوری هو اتجاه التفسیر العقائدي، وخاصة المذهب الأشعرية. وقد عبر في عدة أجزاء من تفسیره عن انتقاد مذهب المعتزلة من ناحية. علی سبیل المثال في تفسیر سورة القيامة الآيتين ٢٢ - ٢٣. وقد عبر البیجوری بوضوح عن رأي یتماشى مع الفكر الأشعري الذي أكد علی أن المؤمنین سیرون الله في الجنة بالعين. وفي الوقت نفسه، وكعقيدة تمجد العقل، اعتقدت المعتزلة أنه من المستحيل رؤية الله بالعين البشرية في كل الأوقات. ويمكن رؤية هذا النموذج من التفسیر في تفسیر الکشاف.^{٣٠}

ومن جهة أخرى، رفض البیجوری أيضاً مذهب المجسمة. فمثلاً عندما فسر سورة الفتح

الآية ١٠ فسر كلمة "يد" بالقوة، بينما في هذه الآية فهمت المجسمة كلمة "يد" علی أنها تعني يد

مثل يد الإنسان.

^{٣٠} أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الکشاف عن حقائق غوامض التنزيل مجلد ٤ (بيروت: دار

الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ)، ٦٦٢.

وأما من جانب المنهج التفسيري، يستخدم البيجوري منهج التفسير الآثري النظري. ويمكن

إثبات ذلك من خلال استخدام آيات أخرى من القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكلام

العلماء من أجيال الصحابة و التابعين في تفسيرها. على سبيل المثال، عندما فسر سورة الفجر الآية

٢٢، تشير الآية إلى وجود مادي معين لله. وقد رفض هذا الانطباع بإدراج حديث النبي صلى الله

عليه وسلم الذي رواه إمام مسلم في كتاب صحيح مسلم. وذكر أقوال العلماء في هذا الأمر.

وبخلاف ذلك، يستخدم البيجوري أيضاً التحليل اللغوي والحجج العقلانية في تفسيره. على

سبيل المثال، عند ما شرح بإيجاز ما هو المعنى اللغوي للعصمة.

و أما من حيث الطريقة التفسيرية المستخدمة، يتضح من بيانات تفسيره أن البيجوري يشرح

معنى الآيات القرآنية المتعلقة بالإيمان باستفاضة. وقد قدم عدداً من تواريخ التفسيرات السابقة، كما

قدم تحليلات من جوانب مختلفة، خاصة اللغوية والعقلانية. ولذلك يمكن القول أن البيجوري استخدم

طريقة التفسير التحليلي. لأنه يستخدم طريقة التفسير التحليلي، يمكن الشعور بالتفسير الموجه نحو

العقيدة للبيجوري مع المذهب الأشعرية.

و بناء على وصف البيانات التي تم ذكرها سابقا، يمكن القول أن خطوات تفسير الآيات

العقائدية التي استخدمها البيجوري في كتاب تحفة المرید على جوهرة التوحيد هو: أولا، بيان الأصول

التي استخدمها أولا في فهم الآيات المراد تفسيرها. ثانياً: عرض الآيات المتعلقة بمسألة العقيدة وتفسيرها

من خلال الاستشهاد بأقوال أهل العلم والخلف. أما الثالث فيعرض روايات أخرى تدعم فهمه

ويستخدم أيضاً الحجج المنطقية والتحليل اللغوي. فمثلاً عندما فسر البيجوري الآيات المتشابهة.

أما تقنية تفسير آيات العقيدة التي استخدمها البيجوري في كتابه "تحفة المرید على جوهرة

التوحيد" فهي: تقنية تفسير النصوص للآيات المتعلقة بمسائل السمعيات. ثم تقنية التفسير المنطقي

والتفسير اللغوي للآيات المتعلقة بالمادة الإلهية والرسالات.